

القرصنة

ابتكرها الأوروبيون واثمموها العرب
الفرنسيون حولوا موريشيوس إلى وكر

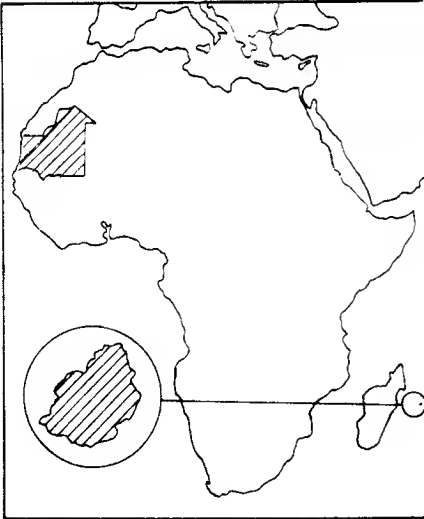
يعتبر موضوع القرصنة من أكثر من المواضيع التي تثير نقاشاً وجدلاً حول تفسير الأعمال البحرية التي قامت بها القوى البحرية العربية المحلية ، والقوات البحرية للدول الأوروبية في العصور الحديثة من تاريخ الخليج العربي ، ففي الوقت الذي كانت القوى العربية ترى فيه ضرورة استجابة الأوروبيين للاعتراف بسيادتها على مياهها الإقليمية (وهذا من حقها) وبالتالي دفع رسوم المرور على السفن الأوروبية المارة في تلك المياه ، وفي حالة الرفض تلجأ إلى مهاجمة الرافضين إلى أن يخضعوا للأمر الواقع ، كانت الدول الأوروبية من جانبها تصف تلك الأعمال وتطلق عليها اسم القرصنة مبررة بذلك أعمالها العدوانية على تلك القوى العربية المحلية الناهضة .



الدكتور صادق ياسين الحلو
جامعة بغداد - كلية التربية

«القرصنة الأوروبية في الخليج العربي وسواحل أفريقيا الشرقية ضد القوى البحرية العربية
في القرن الثامن عشر ونهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر» .

المدافعون عن مياههم وبحارهم للقرصنة في المياه العربية



وقد ناضلت القوى العربية لكي تحافظ على استقلاليتها من مسألة الصراع بين الفرنسيين والبريطانيين والهجمات البحرية المتبادلة بينهما في مياه المحيط الهندي والخليج العربي ، لكنها لم تنجح في تحقيق هذا الهدف في كثير من الأحيان لأن موانئها وسفنها تعرضت لأعمال قرصنة من هذا الطرف أو ذاك بحجة ضرورة تأييد تلك القوى وانحيازها الى أحد الطرفين . ولهذا خسرت عدداً من سفنها وبضائعها بسبب تجاهل أولئك الأوروبيين لموقف الحياد العربي وبخاصة في مسقط ، ومع ذلك ظل العرب يلجأون الى الطرق الدبلوماسية

السفن الصغيرة في الموانئ العربية ساعين الى تحجيم القوى البحرية حتى وان كانت صغيرة الى الحد الاقصى الممكن^(٣)، وقد تذرعوا بحجج واهية منها ان هذه السفن لا تحمل تراخيص من السلطات البرتغالية . غير ان القرصنة البرتغالية لم تتمكن من ايقاف تطور نمو القوى البحرية العربية وبخاصة العمانية منها التي استطاعت ان تبرز وتنشط بشكل فاعل على المسرح التجاري والحربي في مياه الخليج العربي وكان لها شرف طرد البرتغاليين نهائيا من مياه الخليج العربي وملاحقة الغزاة الى سواحل افريقيا والهند .

عمليات القرصنة لسفن جزيرة فرنسا ضد

الموانئ، والسفن العربية في القرن الثامن

عشر :

أدى امتداد الصراع الفرنسي - الانجليزي الى مياه المحيط الهندي والخليج العربي الى تعرض الموانئ والسفن العربية لهجمات قرصنية نتج عنها نهب بضائع وأسر عدد من السفن العربية تحت حجج ملاحقة كل طرف اوروبي للأخر ضمن اطار عمليات نهب السفن وبضائعها المتبادلة بين فرنسا وبريطانيا .

ففي عام ١٧٥٨ دخلت بندر عباس سفينتان بريطانيتان هما Revenge الريفانج ، والدراك Drake للاستيلاء على سفينة فرنسية كانت ترسو في ميناء البصرة منذ ثلاثة شهور لتتروذ

للوصول الى حل لتلك المشاكل ، بينما لجأوا في أحيان أخرى الى قوة السلاح وهاجموا أولئك المعتدين واتصفت تلك الهجمات بالجرأة والشجاعة .

وتعرض البحث الى هذا الموضوع الذي سمي القرصنة الاوربية في مياه الخليج وشرق افريقيا ويقصد بها الاعتداءات الاوربية على السفن العربية ونهبها وذلك ابتداء بالقرصنة البرتغالية في القرن السادس عشر وانتهاء «بالقرصنة الانكليزية ضد القواسم في القرن التاسع عشر .

القرصنة البرتغالية في الخليج العربي

ابتدأت أعمال الاعتداء والقرصنة الاوربية ضد السفن والاساطيل العربية البحرية التجارية والحربية منذ ان غزا البرتغاليون الخليج العربي في القرن السادس عشر وكان من أهم أهدافهم تدمير الامكانيات العربية البحرية حيثما صادفوها حتى وان كانت مسالمة وليس لها أي أذى أو مقاومة ضدهم^(١)، وقد بلغ عدد السفن المدمرة اثناء تجوال الاسطول البرتغالي في المنطقة الشمالية الشرقية من المياه العمانية بالقرب من مصيره وحدها كما قدرها مايلز بين ٣٠ و ٤٠ سفينة^(٢) .

ولم تتوقف اعمال القرصنة للبرتغاليين ضد السفن العربية طيلة القرن السابع عشر فظلوا ينهبون حتى

بالوقود ، وطلب ممثل شركة الهند البريطانية من حاكمها بأن يضع كل الفرنسيين في البصرة في الحجز حتى يمنع بذلك السفينة الفرنسية البريستول (Bristol) من أسر ثلاث سفن انجليزية قادمة من الهند وستكون في مدخل شط العرب^(٤).

وقد تطور الصراع أكثر في عام ١٧٥٩ عندما دمر اسطول فرنسي المكتب التجاري البريطاني في بندر عباس وهذا الاسطول كان يتألف من سفينتي شركة الهند الفرنسية «الكوندي» Le conde والفرقاطة الاكسبديسيون L'Expedition وقد كانتا غادرتا ميناء جزيرة فرنسا تحت أمرة ديستيان D'Estaing وعند مرورهما في مسقط أطلق ديستيان النار على سفينة تسمى الميري Le merry^(٥) معتقداً انها تابعة الى الانكليز، ولكنها في الواقع كانت تابعة لشخص يدعى شلبي من تجار البصرة من الدرجة الاولى^(٦)، وعند مقابلة أسقف بابل لباشا بغداد كان الباشا يذكر الأسقف «بأنه اندهش عندما علم أن اسطولاً فرنسياً نهب سفينة تعود الى أحد الرعايا الاتراك في ميناء محاييد ويعود الى المسلمين «كميناء مسقط»^(٧) ويبرر أسقف بابل العملية عند رده على الباشا ويقول «بأن السفينة شحنت البضائع من سوررات، المدينة التي استولى عليها الانكليز من الفرنسيين وانها تحمل أوراق موقعة من الانجليز، وعندما دخل اسطولنا

ميناء مسقط كانت السفينة ترفع العلم الانكليزي، كما انها أطلقت طلقات المدفعية ضد اسطولنا قبل أن تعرف بأن سفينتنا ستهاجمها»^(٨).

ويبدو أن الفرنسيين خرقوا بشكل واضح حياد ميناء مسقط، فيستمر أسقف بابل بالقول «المسقطيين لم يكونوا أبداً محايدين تجاهنا فالأمير العربي الذي يحكم مسقط طرد بطلب من الانكليز السير هو كيت Hoquet ساعي البريد الذي كان يقيم في ذلك الميناء»^(٩) واعتدوا على سفينة بصرية فيه وبهذا العمل خرق الفرنسيون حياد ميناء مسقط والبريطانيون خرقوا حياد ميناء البصرة.

وتكررت تلك الأعمال القرصنية في السنوات التالية ففي عام ١٧٦١ وصلت حملة فرنسية جديدة ورسّت في ميناء مسقط قادمة من ميناء بورت لويس Port Louis وكانت تتألف من السفينة بولون Boulogne وقارب للحماية، وتجاهل قائد البولون حياد ميناء مسقط، فهاجم فيه إحدى السفن الانكليزية^(١٠).

وهكذا أصبح ميناء مسقط مسرحاً للصراع الدموي^(١١) الانكليزي الفرنسي، ونتيجة لاستمرار خرق حياد ميناء مسقط من السفن الفرنسية اتخذت حكومة مسقط في بعض الاحيان مواقف حادة عند تلك الهجمات. ففي عام ١٧٧٨ تابعت إحدى السفن الفرنسية القرصنية سفينة انكليزية لجأت الى الميناء فما

(كالوي) (Deschiens)
(Kalway) (١٥).

وبدأت عمليات سفن القرصنة الفرنسية التابعة لجزيرة فرنسا بالقرب من سواحل أفريقيا الشرقية والتي تتجول في السواحل الغربية للهند ومياه الخليج العربي بالعمل على ضرب وتخريب تجارة العدو (الانكليزي) وكذلك كانت تعامل كل السفن التي يشك بأنها تحمل بضائع تعود للتجار الانكليز بنفس المعاملة (للسفن الانكليزية). (١٦).

أما عن كيفية أسر سفينة الامام الصالح فيروى «ان سفينتين من سفن القرصنة الفرنسية (Corsaires) تالقتا في الخليج معها، وفيها بطاريتان ومسلحة بـ ٥٠ مدفعا، وهي محملة ببضائع ومنتجات هندية وكانت متوجهة الى البصرة فهاجمتها تلك السفن وسيطرت عليها ومن ثم نهبت بضاعتها» (١٧) وتعتبر شحنة السفينة مهمة جداً لأنها مرسله الى تجار عديدين (١٨) وقد تمكن أحد أفراد الطاقم من الهرب من الاسر وأخبر الامام بالحادث.

وكان لهذا الحادث القرصنى وقع مؤثر على الامام والمسقطيين لأن مسقط ليست في حالة حرب ضد فرنسا، والامام كان يحتفظ بعلاقات تجارية مهمة مع جزيرة فرنسا لذلك عندما رست احدى السفن الفرنسية في ميناء مسقط للترؤد بالمياه وهي تجهل ما وقع للسفينة المسقطية أعطى

كان من حاكم مسقط خلفان بن محمد الا أن قدم الحماية الى تلك السفينة الانكليزية، وقدم ملاحظة احتجاج الى المهاجمين (الفرنسيين) وعندما لم يرتدعو أطلق النار على السفينة الفرنسية التي قتل خمسة من بحارتها قبل أن تتمكن من الهرب. (١٢)

ولكن هذا الموقف لا يعني أن حاكم مسقط والعثمانيين كانوا بجانب الانكليز «وإنما كان ذلك العمل من العادات العربية التي تقوم على حماية الدخيل والدفاع عنه بالسلاح عند الضرورة بغض النظر عن جنسيته ودينه» (١٣).

وفي هذه الفترة أيضا بدأت قوى القواسم بالبروز وأخذت زمام المبادرة في مهاجمة السفن الانكليزية التي ترفض الاعتراف بسيادتهم أو دفع ضرائب المرور مقابل الرسو في موانئهم، وقد أطلق الانكليز على تلك المقاومة المشروعة اسم القرصنة. (١٤) وفي أثناء فترة حرب الاستقلال الامريكية، تصاعد التصادم الانكليزي الفرنسي، فانعكس ذلك سلباً حيث تبعه خرق لحياد ميناء مسقط من قبل أساطيل البلدين وبالأخص الاسطول الفرنسي.

غير أن العلاقات المسقطية الفرنسية وإن لم تقطع الا أنها شهدت مرحلة تأزم عندما أسرت السفينة المسقطية، الصالح، ونهبت بضاعتها، من قبل الاسطول القرصني الفرنسي الذي كان يقوده الكابتن (ديشتيان

الامام الامر بالاستيلاء عليها. وبعث رسولا الى السفن القرصنية الفرنسية التي أسرت الصالح مقترحاً استبدالها بالسفينة الفرنسية المحتجزة واسمها الفلبين «Le philippine».

غير أن الامام عاد وفضل حل المشكلة بالطرق الدبلوماسية متحاشياً اللجوء الى الانتقام من السفن الفرنسية، ولهذا أطلق سراح الفلبين وطاقمها وأرسل ملاحظة الى حاكم جزيرة فرنسا (السيد دوسويك) (Desouillaq) للاحتجاج ضد أعمال السفن الفرنسية القرصنية المتصاعدة وخرقها لحياد ميناء مسقط. كما وجه رسالة أخرى الى لويس السادس عشر عبر فيها عن رغبته بالاحتفاظ بعلاقات طيبة وقلبية مع فرنسا، لكنه طالب باتخاذ عقوبات ضد قبطان السفينة المسؤول عن حادث أسر السفينة المسقطية.^(١٩)

وكان رد الملك الفرنسي ايجابياً فهو أيضاً يسعى للحفاظ على العلاقة الفرنسية المسقطية^(٢٠)، وتعهدت الحكومة الفرنسية باهداء سفينة فرنسية (Le courrier d'île de France) كتعويض للامام عن خسارة الصالح.^(٢١)

لكن تلك الهدية لم تصل مسقط مطلقاً، لأنها نهبت في الطريق بفعل عملية قرصنة من السفن الانكليزية، وأصبح إمام مسقط ضحية مرة أخرى للصراع الفرنسي الانكليزي.^(٢٢) وواصل خلال هذه الحقبة

الاسطول الفرنسي فعاليته القرصنية في مناطق الخليج الاخرى، مما أدى الى الاضرار بتجارة الخليج ودمرت أكثر من مئتي بارك (نوع من السفن الصغيرة) في البصرة.^(٢٣)

أضرت تلك العمليات البحرية التي قام بها الاسطول القرصني لجزيرة فرنسا (مورشيوس) بصغار التجار العرب الذين فقدوا أموالهم والذين أخذوا يضغطون أكثر فأكثر على الامام ليسرع بارجاع الاموال المنهوبة.^(٢٤) وبدأ الناس في البصرة لا ينظرون الى الفرنسيين الا بمنظار سئء منذ أن قامت سفن القرصنة لجزيرة فرنسا بعمليات النهب في الخليج العربي.^(٢٥) وطالب تجار بغداد سلطان عمان بمنع الفرنسيين من دخول ميناء مسقط لأنهم تسببوا في فقدانهم لبضائعهم.^(٢٦)

وظل سلطان مسقط ينتهز كل فرصة للمطالبة بالتعويض عن سفينته المنهوبة بعمل قرصني، الا أن التعويض لم يتم الا بعد تسع سنوات لانشغال فرنسا بمشاكلها الداخلية وعدم اعارتها المشكلة ما تستحق من الأهمية، وعلى الرغم من أن السفينة المهداة من الملك الفرنسي الى السلطان لم تكن كبيرة كتلك التي فقدوها الامام^(٢٧)، فانها أحدثت فرحاً عظيماً مشوباً بالعاطفة لدى المسقطيين وأفتخر الامير العربي بها، حيث شرف بالاحترام الكبير من قبل عظيم اوربا.^(٢٨)

نشوب الثورة الفرنسية وتصاعد الاشتباكات الفرنسية البريطانية القرصنية في الخليج العربي:

عند قيام الثورة الفرنسية في ١٤ تموز ١٧٨٩ تجددت حدة الصراع البريطاني الفرنسي البحري القرصني، وقد قدرت الحكومة العمانية، بأن قيام الجمهورية الفرنسية ستكون له نتائج مقبولة على العلاقات مع فرنسا وستحد من أعمال القرصنة التي أقترفتها البحرية الفرنسية ضد السفن العمانية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي. ولهذا السبب تقدمت حكومة مسقط برسالة الى القنصل الفرنسي طلبت فيها معرفة «فيما اذا كانت الصداقة السائدة بين الفرنسيين والمسقطيين تبقى دائمة، والا اذا كانت الحالة معاكسة لذلك تستطيع (الحكومة العمانية) أن تحمي بلدنا وتجارنا»^(٢٩)

وصدقت توقعات العمانيين فبعد اشتعال حرب عام ١٧٩٣ في أوروبا «خرق الفرنسيون من جديد حياد مسقط»^(٣٠) وعادت شكاوي واحتجاجات المسقطيين ضد قرصنة جزيرة فرنسا الى الشرق من سواحل أفريقيا الشرقية فبالرغم من الحبوب التي يأخذونها من مسقط، فالمستعمرون الفرنسيون في الجزيرة

كانوا مهتمين جدا بالذهب، حتى يؤمنوا الخدمات لأن الحكومة الفرنسية بعيدة عنهم، وليس لها سلطة على هذه المستعمرة، فهم مستقلون في الحقيقة ومن جهة أخرى، لهم هموم أخرى، وعندما يأتيهم احتجاج من الامام يعرضونه على المجلس، ويظهر أن السلطان العماني غير معروف لديهم»^(٣١)

وهكذا عاد عهد قرصنة سفن جزيرة فرنسا (Corsaire)، وبدأ الحياديون وبخاصة سفن مسقط تقاسي بعنف من تلك الاعمال^(٣٢)

وفي الحقيقة لم تول الحكومة الفرنسية اهتماما كبيرا بمنطقة الخليج العربي في البداية وانما أعطتها اهتماما ثانويا لانشغالها بأوضاعها الداخلية والاوربية، ولذا بدأ قلق حكومة عمان من جديد وحاولت معرفة موقف الحكومة الجديدة من الأعمال القرصنية فكتبت اليها «اذا أثبتت لنا الجمهورية الفرنسية رغبتها بعدم قطع علاقاتها معنا واذا ما أرجعت السفينتين التي نهبها رعاياها الى امام مسقط، والا في الحالة المعاكسة، اذا رغبت في قطع عقدة الصداقة، سيكون لكل واحد منا يعمل ما يظن له من جانبه ويلائمه»^(٣٣)

لم يقم العمانيون بأي عمل انتقامي ضد السفن الفرنسية بل ظلوا يأملون بالطرق الدبلوماسية لوضع نهاية لأعمال القرصنة وهددوا بقطع

العلاقات التجارية مع جزيرة فرنسا في حالة استمرارها، لكن هجمات سفن قرصنة الجزيرة استمرت ضد السفن العربية^(٣٤) وأخير ممثل الامام في بغداد القنصل الفرنسي روسو Rousseau بأن سفن الكورسيير Corsaire (القرصنة) استولت على السفينة المسقطية فتح (FATH) ونهبت بضائعها التي قدرت قيمتها بـ ١٤,٠٠٠ روبية قبل قيادتها الى جزيرة فرنسا.^(٣٥)

وعندما تبادلت عمليات القرصنة ووصلت الى حد «قتل طواقم السفن من قبل السفن الكورسيير Corsaire القرصنية»^(٣٦) ردت السلطات المسقطية «بمنع تصدير الحبوب الى المستعمرات الفرنسية»^(٣٧).

وقد أدينت عمليات القرصنة في داخل فرنسا فقدمت لجنة العلاقات الخارجية تقريراً الى لجنة السلامة العامة تدين العمليات القرصنية التي ارتكبتها البحرية الفرنسية ضد السفن العربية مؤكدين انها ضد أخلاق البلاد المتطورة والمتمدنة^(٣٨) ومع ذلك ظل المسقطيون يستقبلون السفن الفرنسية التي كانت ترسى في ميناء مسقط استقبالا حسنا، ولم ينجرّفوا الى أعمال القرصنة، فالشيخ خلفان حاكم مسقط كتب بهذا الخصوص يقول بأن «سفينة فرنسية في نفس هذه الفترة وصلت الى مسقط، لاننا ليس فقط لم نقم بأي سوء ضدها، لكننا قمنا بمساعدتها

وحمايتها لأن الجمهورية الفرنسية عزيزة علينا، ونترك لها أن تعطينا العدالة التي تتوجب عليها جزاء العمليات القرصنية ضد السفن المسقطية»^(٣٩)

مع ذلك تصاعدت عمليات سفن (الكورسي) السفن القرصنية الفرنسية ولم تسلم من شرها السفن العربية، وهذا ما وصفه روسو القنصل الفرنسي في بغداد لتلك الاعمال «ان ما يقوم به الجمهوريون (المستعمرون) من جزيرة فرنسا من أعمال مزعجة في كل بحار الهند، فنهبوا أكثر من ثلاثين سفينة من مختلف القوى اضافة الى اسطول مؤلف من خمس سفن وفرقاطة للتجوال، ومنذ ثلاثة سنوات في ضواحي سورات وبومباي، وكل ساحل ملبار، وبالنسبة الى معرفتي، فالكورسييرا سبق ونهبت خمس سفن انجليزية كبيرة كانت قادمة من الصين، وسفینتين انكليزيتين من البنغال، وفي منطقة الخليج العربي نهبت سفن محملة ببضائع غنية ذاهبة من مدراس الى امام مسقط، وقائدها كان انكليزيا، وسفينة اخرى عربية اكد لي ان على ظهرها ما قيمته اكثر من ٦٠٠ الف روبية من ذهب، وفي الاخير فان سفن الكورسييرا نهبت من ميناء مسقط سفينة كبيرة لشركة الهند الهولندية قادمة من بتافيا.^(٤٠) وكما هي الحالة مع السفينة المسقطية التي نهبت سابقا بعمل

قاعدة تنطلق منها هجمات الكورسير المدمرة ضد سفن الملاحة الانكليزية في المحيط الهندي والخليج العربي.^(٤٤)

القرصنة ومشكلة رفع العلم المسقطي على السفن الفرنسية والهولندية:

في عام ١٧٩٧ أخذت حكومة بومباي على ممثلي شركة الهند الشرقية في مسقط عدم تأشير الدعايات التي تقول بأن سلطان مسقط سمح للسفن الفرنسية والهولندية برفع العلم العربي (يقصد المسقطي) والتجهز بالموءن في ميناء مسقط، وهكذا تتخلص من هجمات السفن الانكليزية ويأخذ عليهم (ممثلي شركة الهند ايضا) عدم احتجاجهم لدى السلطان على ذلك، لذا طلب السلطان بعدم السماح للأوربيين برفع العلم العربي على سفنهم في أعالي البحار.^(٤٥)

ولا ننسى أن نؤشر أن الوجود الفرنسي كان فاعلاً بمنطقة الخليج العربي في نهاية القرن الثامن عشر فللفرنسيين علاقات تجارية مزدهرة مع مسقط والبصرة وهذه التجارة كان يمكن أن تتطور أكثر لو تجنبت السفن الفرنسية مهاجمة السفن العربية ونهبها.^(٤٦)

لذا سعت انجلترا لتقوية جهودها السياسي في مسقط فالانكليز تخوفوا من السلطان وشكوا بأنه يهاجم

قرصني لم تتوقف حكومة مسقط عن المطالبة بالتعويض عن السفن المنهوبة، وانفجر جدل بخصوص القيمة الحقيقية لحمولة تلك السفن، فالفرنسيين رأوا بأن الادعاءات العربية مبالغ فيها فانهم (الفرنسيون) يرون بأن السفن العربية صغيرة ومبنية دون حديد أي الألواح المخاطة المشدودة بالحبال.^(٤٧)

ويظهر من ذلك أن اللجنة المكلفة من الحكومة الفرنسية بتقدير التعويضات عن تلك السفن «تجهل بشكل عام حالة الاسطول العربي وسفنه، وتمزج في الواقع بين البارك (القارب الصغير) التي تستعمل محليا مع السفن الكبيرة التي يبنيتها العرب لأغراض التجارة».^(٤٨)

وفي الواقع لا توجد معلومات عما قدمته فرنسا من تعويضات الى حكومة مسقط غير أن احدى رسائل روسو الى الشيخ خلفان حاكم مسقط تؤكد استعداد فرنسا لاحترام حياد الميناء.^(٤٩)

ان عدم منع القرصنة الفرنسية ضد السفن المسقطية لم يمنع من تطور التبادل التجاري بين ميناء مسقط وجزيرة فرنسا. ونظر الانجليز بعدم الارتياح لهذه الوضعية، ففي الحقيقة ليس فقط العمانيون يحصلون على فائدة كبيرة من بيع البضائع والسفن المستولى عليها من الانكليز (كما يدعون)، كما انهم (الانكليز) لم يتمكنوا من منع مسقط لأن تكون

السفن الانكليزية لحساب الفرنسيين وهذا ما كتبه مهدي علي خان (مبعوث حكومة الهند الى فارس) ممثلهم في بوشير فيذكر «لدى أسباب كثيرة تجعلني أشك ان الفرنسيين يستخدمون السفن التي تقوم بالتجارة بين مسقط وخليج البنغال والتي اعتقد أن عددها ارتفع من سبعة الى ثمانية»^(٤٧)

ومن جهة أخرى اعتقد الانكليز أن السلطان لم يحتفظ بحياده تجاه النزاع الانكليزي الفرنسي في الخليج والمحيط الهندي، فالتجار المسقطيون يشترون البضائع وحتى السفن المأسورة من الفرنسيين، وإضافة الى ذلك أن أحد الأسباب لفشل الحصار الانكليزي ضد جزيرة فرنسا هو الاحتفاظ بالعلاقات التجارية بين الجزيرة ومسقط.

ومما زاد من الشكوك الانكليزية أن سلطان بن أحمد، بعث برسالة الى دنكان (حاكم الهند) أصر على حياده ويشرح له فيها رفضه مهاجمة السفن الفرنسية فيقول «انتم تعلمون بأنه لا يوجد بينهم (الفرنسيين) وبينني أي تقارب لكن أخذين بالحساب النقل البحري مع الهند والاتصالات العديدة مع السفن الفرنسية التي تسير بهذا الاتجاه لا أستطيع اعلان الحرب عليهم بشكل مفتوح، وذلك حتى لا تتحطم تجارة رعاياي الذين يتعاملون بشروط جيدة معهم. اذا اعتقدتم بأنه يجب اعلان الحرب على

الفرنسيين فيجب أن تعرفوا بأننا سنكون مضطرين لاستخدام كل سفننا التجارية للدفاع عن زنجبار ومسقط وجانبى الخليج»^(٤٨)

وهذا الموقف تلائم بشكل تام مع جهود ماكلون (Magallon) (حاكم جزيرة فرنسا) الذي دفع باتجاه بقاء مسقط على الحياد ومن هذه الفترة وظهر ذلك عندما «اسرت سفن الكورسير الفرنسية ثلاثة سفن مسقطية: الاحمدي، المصطفى، والفضل عيلام، فرفض ماكلون الاعتراف بهذا الاستيلاء، فكلف دليل السفينة شاتوفيل ليقود تلك السفن الى الهند لارجاعها الى الامير العربي وفي مارس ١٨٠١ ظهر شاتوفيل Chatouville أمام مسقط على ظهر الاحمدي وهو يحمل رسائل بتعليمات مناسبة»^(٤٩)

مناقشة حجج عمليات القرصنة البريطانية ضد القواسم في القرن التاسع عشر:

ان تطور القوى البحرية العربية أقلق بريطانيا التي وجدت فيها تهديدا لمصالحها في المنطقة، فالانكليز لم يريدوا بأي ثمن رؤية قوة عربية تتنافس مع قواتهم على طريق مستعمراتهم الهندية حتى وان كانت تلك القوى تمارس تجارة عادية. فكان عليهم اذن عاجلاً أو آجلاً الدخول في

السياسي للدولة لم يكن بعد قد تطور لدى القوى العربية والحروب تركت آثارها بين مختلف القبائل العربية على ضفتي الخليج فكل واحد يهاجم سفن الآخر، وكان المؤرخون الغربيون لا يفهمون تلك الحروب ولذلك اطلقوا عليها مصطلح قرصنة.^(٥٢)

وكمثال على تلك الاحداث ما زودنا به الصراع في ذلك العصر بين العمانيين والقواسم والذي حول الخليج الى ساحة معركة حقيقية ونتج عنه الاستيلاء على بعض السفن البريطانية، فالانكليز سموا ذلك قرصنة بدون أن يأخذوا بنظر الاعتبار أن سفنهم كانت تمر من خلال منطقة حربية.^(٥٣)

وبمهاجمتهم للسفن التجارية تصور القواسم بأنهم يقومون بعمل مهم يشبه الى حد ما الغزو لدى البدو.^(٥٤)

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر اتخذت نشاطات القواسم البحرية طابعا دينيا واعتبرت أعمال مهاجمة السفن نوعا من الجهاد (حرب مقدسة) واعتبروا ما يستولون عليه من بضائع كغنائم الحرب يعطي خمسها الى الشيخ، فعندما كانوا يسيطرون على سفينة انكليزية كانوا يغسلونها ويطهرونها بالمياه.^(٥٥) ثم يقودون أعضاء طاقمها الواحد بعد الآخر الى مقدمة السفينة ليقطعوا رؤوسهم تحت هتافات (الله أكبر).^(٥٦)

صراع مع القواسم الذين يمتلكون اكبر اسطول عربي مهم يقاوم محاولاتهم للهيمنة، كذلك كانت بريطانيا في نفس الوقت تواجه البحرية الفرنسية لتتخلص من المنافسة الاجنبية في مناطق النفوذ هذه.

ولاجل بلوغ هذا الهدف أي ضرب القوى العربية البحرية، كان على الانكليز ايجاد غطاء لذلك فاخترعوا مسألة ما يسمى بالنضال ضد القرصنة، فأطلقوا على أعمال تصدي القواسم وكعب وغيرهم للسفن الاجنبية التي ترفض الاعتراف بالسيادة العربية على مياههم الاقليمية اسم القرصنة فكان «ضرورة القضاء على القرصنة أحد الحجج، المقبولة كغطاء للتدخل في شؤون كل الدول الصغيرة لساحل بحر عمان. فالعرب لم يظهروا أقل حماسة في نهب السفن فهي مثل القوافل من وجهة نظرهم، فالبجاعة الهندوس كفره والملاحين الاوربيين غير مؤمنين»، كما كتب أحد الرحالة الفرنسيين.^(٥٧)

وفي الواقع لا نستطيع أن نطلق اسم القرصنة على الهجمات التي شنّها القواسم ضد السفن الحربية أو المدنية التي ترفع العلم الانكليزي أو الأمم الاخرى لأنهم يدافعون عن أراضيهم. «في حين أن القراصنة هم أولئك الذين يهاجمون السفن او الجزر في أعالي البحار».^(٥٨) ومن جانب آخر فان المعنى

ولم يكن القواسم وحدهم يمارسون القرصنة فالانكليز والفرنسيون أنفسهم مارسوها الواحد ضد الآخر في مياه المحيط الهندي والخليج العربي.^(٥٧) وخصوصاً خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وسنوات العشرينات من القرن التاسع عشر ونفس الحالة بالنسبة للقوى الامبريالية الاروبية الاخرى، وهكذا فبين ١٨٠٣ و ١٨٠٩، استطاعت فرنسا من خلال عمليات القرصنة أن تنهب ما قيمته بحدود ١٥,٠٠٠ طن من البضائع تعود الى شركة الهند البريطانية.^(٥٨)

ان هجمات القواسم ضد السفن الانكليزية كانت بسبب رفض الاخيرة دفع ضرائب الكمارك في الموانئ القاسمية، وكان هدف القواسم القضاء على الاحتكار التجاري الذي يمارسه الاجانب في الخليج العربي،^(٥٩) وهذا ما رفض الانكليز الاقرار به لأن الخليج يقع على الطريق بين أوروبا والهند، لذا مارست بريطانيا ضغطاً على التجار الهنود الذين يقيمون علاقات مع الخليج للشكوى ضد القواسم.

فالانكليز أنفسهم كانوا يعتبرون عمليات القرصنة التي مارسوها ضد السفن الفرنسية شرعية سواء كانت تعود الى أشخاص أو الأسطول الحكومي.^(٦٠) لأن تلك الاعمال أجزت من الحكومة البريطانية بهدف أضعاف قوة منافسة، والفرنسيون من

جانبيهم طوروا من تلك التبريرات (التفسيرات)، فنشاط القواسم أذن اعتبر نوعاً من القرصنة لأنه لم يجز من قبل حكومه لكن في بعض الحالات يمكن اعتبار القبيلة كياناً سياسياً رسمياً، وعلى هذا الاساس تعتبر الهجمات العربية كأفعال حربية بحرية تهدف منع الاوربيين من اختراق منطقة النفوذ العربي.^(٦١)

وفي هذه الفترة ولدت الامارات العربية الصغيرة ففي ١٨٠٦ عقد الانكليز اتفاقية مع القواسم، وفي عام ١٨٢٠ عقدت بريطانيا اتفاقية بحرية معهم وهذا يدل على اعترافها بأنهم يشكلون سلطة من الممكن أن يتعاملوا معها على المستوى العالمي، كما أن مفهوم الامة لم يكن ناضجاً في المنطقة وبذلك لا يمكن اطلاق كلمة قرصنة على الاعمال البحرية التي تقوم بها سفنهم.

ومن جانب آخر فان القواسم كانوا يتعاملون بقسوة مع السفن والبحارة الانكليز أكثر من تعاملهم مع الفرنسيين، وفي هذا الصدد يروي بأن سفينتين من سفن جزيرة فرنسا كانتا تحملان بضائع وإحدهما كانت مسلحة وهاجمتها سفن قاسمية في رأس الحد ونهبت شحنتهما وجلبوا بحارتهما (طاقمهما) الى اليابسة ولكن بمجرد أن عرف القواسم بأنهم فرنسيون أعطوهم حريتهم^(٦٢) وهذا دليل على أن القواسم يفرقون بين العدو الحقيقي الانكليزي وأولئك الذين

هم ليسوا في حالة حرب معهم. فبدل أن يتوجهوا الى القواسم بشكل سلمي ويعرضوا عليهم مطالبهم، لجأ الانكليز الى العنف، ومراسلات شركة الهند الشرقية تدل بوضوح على انها أرادت القضاء على المنافسة العربية في طرق الاتصال التجاري بين الخليج والهند وأفريقيا الشرقية.^(٦٣)

وفي الواقع تعتبر منطقة الخليج لبريطانيا منطقة منفعة أساسية انطلاقاً من حقيقة انها تشكل سلسلة هامة لطريق التجارة الشهير الى الهند، العصب الحيوي للامبراطورية البريطانية، ويجب التذكير بأن أحد المرتكزات الاساسية للسياسة البريطانية هو ضمان الاتصالات الامبريالية بين لندن، التي هي رأس الامبراطورية والهند التي هي القلب، فاليوم الذي تقطع فيه انكلترا عن الهند سيكون بدون شك نهاية العظمة البريطانية، ولهذا السبب عملت انكلترا على تركيز نفوذها في كل المناطق التي يمر منها الطريق إلى الهند.^(٦٤)

ولهذا أيضا غزت بريطانيا المنطقة عسكريا ووجهت ضدها الحملات العسكرية البحرية في أعوام ١٨٠٦ - ١٨٠٩ و ١٨١٠ و ١٨١٩ و ١٨٢١، تحت ستار القضاء على القرصنة في حين انها استهدفت بالدرجة الأولى القضاء على النشاط البحري للقوى العربية وتدمير أساطيلهم البحرية،

وبالوقت الذي كان فيه القواسم يتصدون للقرصنة والغزو البريطاني للخليج العربي وقفت فارس بجانب الانكليز وأيدت أعمالهم العدوانية، واكد ذلك المبعوث البريطاني هارفرد جونز (Harvard Johnes) الى البلاط الفارسي فقال «ان الشاه ايد الحملات البريطانية ضد عرب الخليج، وعندما اخبره جونز بالنجاحات التي حققها اسطول شركة الهند البريطانية ضدهم اجاب بارك الله هذا عمل شجاع»^(٦٥)

عمليات القرصنة الفرنسية والبريطانية الاخري في الخليج العربي وسواحل افريقيا الشرقية حتى نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر:

حاولت الحكومة الفرنسية في القرن التاسع عشر تقوية علاقاتها مع مسقط لأن نابليون لم يتخل عن مشاريعه لضرب المستعمرات البريطانية في الهند ولهذا كان يحتاج الى تقوية العلاقات مع الحكام المحليين على طريق الهند، اضافة الى الموقع الاستراتيجي المهم لمسقط. وتتضح تلك الرغبة فيما جاء بتعليمات القنصل الفرنسي كافيناك (Cavaignac) المرسل الى مسقط حيث اكدت تعليماته

على «تطمين الامير العربي بأن ينتظر عدالة الحكومة الفرنسية وانه سينظر في احتجاجاته والحقيقة أن الاحداث ستفهم بشكل كامل، ونعرف بأن عدد من السفن المسقطية (التي نهبت بضائعها وقدرت بكميات هائلة قامت بنهبها سفن الكورسير لجزيرة فرنسا، وقد أديننت تلك العمليات من محكمة الجزيرة».(٦٦)

وكانت تعليمات ديكان (حاكم جزيرة فرنسا) الى كافيناك تؤكد على نفس الموضوع حيث جاء فيها «اعطاء سلطان مسقط التقدير والاهتمام بارسال شخص منتخب لاعادة العلاقات الخاصة التي لم تتدهور أبدا بين الفرنسيين الذين يأتون الى السواحل العربية وسكانها الا بسبب سفن الكورسير التي بقيت بعيدة عن الرقابة».

وأشارت تعليمات ديكان أيضا الى كافيناك «ابدأ علاقاتك مع الامام باعطائه اثبات عن تصور حكومة فرنسا تجاه القرصنة التي تمارس ضد تجارة الأمة والتي لا تريد معها الا علاقات الصداقة، وانت مكلف

بشكل خاص لجمع المعلومات والتلويح بأنه سيتم التعويض اذا ما ثبت ذلك».(٦٧)

وعلى الرغم من كل هذا الاهتمام من الحكومة الفرنسية لم تتوقف سفن الكورسير الفرنسية التي استمرت ترسو في ميناء مسقط للتزود بالوقود، من مهاجمة السفن الانكليزية التي تلاحقها في الخليج العربي.(٦٨)

وبسبب من تلك الاوضاع اقترح المقيم الانكليزي في بوشير على حكومة الهند تأمين الحماية للتجارة الانكليزية وحراسة كل سفينة تجارية بسفينه حربية.(٦٩)

ومن جانب آخر ازدادت الاشتباكات وأعمال القرصنة البحرية بين السفن الانكليزية والفرنسية في هذه الحقبة، وقد قدرت الاضرار التي نجمت عن أعمال الهجوم القرصنية تلك بين عام ١٧٩٣ - ١٨٠٤ بـ ٣٠٠ الف ليقر استرليني.

والجدول التالي يوضح عدد «السفن التي نهبت من الفرنسيين أو الانكليز في المحيط الهندي والخليج العربي بين ١٧٩٣ - ١٧٩٧».(٧٠)

السنة	سفن بضائع سيطر عليها الفرنسيون من الانكليز وعددها	سفن بضائع سيطر عليها من الفرنسيين وعددها
١٧٩٣	٢١٦	٦٣
١٧٩٤	٥٢٧	٨٨
١٧٩٥	٢٠٢	٤٧
١٧٩٦	٤١٤	٦٣
١٧٩٧	١١٤	٥٦٢
المجموع	١٤٧٣	٨٢٣

ويبدو ان العمانيين كانوا يستفيدون من عمليات القرصنة المتبادلة بين البريطانيين والفرنسيين، فثمرة تلك العمليات كانت جلب تلك السفن المستولى عليها قرصنيا وبضاعتها وبيعها في جزيرة فرنسا فكان «عرب مسقط يجدون في هذه العمليات (عمليات البيع) وقسم من المواد الغذائية سوقاً مفتوحة للمضاربة»^(٧١)، فالسلطان والتجار العمانيون كانوا يحتفظون بممثلين في بورت لويس مكلفون بشكل خاص بشراء تلك المنهوبات التي ترسل لاحقاً الى موانئ الخليج العربي، وحتى الى كلكتا لتباع هناك ثانية»^(٧٢)

لقد غالى الطبيب والفيزيائي الايطالي ميروزي Muruzi الذي كان يقيم في مسقط عام ١٨٠٩، كطبيب خاص للسلطان فذهب الى حد القول «بأن غالبية سفن البحرية العمانية ذات الحمولة من ٣٠٠ الى ٧٠٠ طن كانت سفناً انكليزية نهبت من قبل الفرنسيين ثم شراؤها من المسقطيين في جزيرة فرنسا»^(٧٣).

والواقع ان هذا التفسير ينطبق مع وجهة نظر الانكليز التي أرادت الضغط على سلطان مسقط لجعله يتخلى عن موقف الحياد ويقف الى جانب انكلترا في صراعها ضد الفرنسيين.

أن تساعد الاعمال القرصنية

الفرنسية أقلق الانكليز أكثر فأكثر، فالقبطان وود (Wood) قائد سفينة الحرب كونكورد (Concorde) التي كلفت بالتجوال والحراسة في الخليج مع السفينة كورنواليس Cornwallis قدم تقريراً في ٧ تشرين الأول ١٨٠٤ الى مسؤوليه ليجلب انتباههم حول الخطر الذي تشكله حالة القرصنة سواء بالنسبة للنقل التجاري والمراسلات الانكليزية.^(٧٤)

ومن الامثلة على عمليات القرصنة المتبادلة بين السفن الفرنسية والانجليزية في منطقة الخليج العربي ما حدث في تشرين الاول ١٧٩٩ فتقابلت السفينة الملكية (Tricomali) تريكو مالي مع السفينة الفرنسية الافيجين (Ephigénie) ونتج عن الاشتباك تدمير السفينتين بعد وقوع انفجار في السفينة الانجليزية (Tricomali). وفي عام ١٨٠٤ نهبت سفينة الحرب الفرنسية (Lafortine) الحظ، السفينة الانجليزية (الطائر) فلاي (Fly) التابعة لشركة الهند الشرقية^(٧٥) وقادتها الى بوشير ومن جانب آخر لم تكن هذه أولى السفن التي تقاد الى هذا الميناء^(٧٦) فثلاث سفن اخرى على الأقل لاقت نفس المصير بين أيلول وتشرين الثاني عام ١٨٠٤^(٧٧) وعندما علمت حكومة بومباي بخبر الاستيلاء على الفلاي (Fly) أرسلت الملازم كورت الذي

سبق أن شارك بعمليات بحرية داخل الخليج ليحاول ارجاع السفينة المنهوبة لكن قبل مغادرته وصل خبر الاستيلاء على السفينة الفرنسية لافورتين (Lafortine) في شهر تشرين الثاني بواسطة السفينة الانجليزية الكونكورد^(٧٨).

ولعل الشيء المهم الملاحظ على هذه العمليات البحرية أن تأثيرها لم يظل محدودا ومقصورا على سفن الدول الاوربية وانما أمتد تأثيره بشكل قرصنة ضد السفن العربية التي لم تكن داخله في حرب مع أي من البلدين، فقامت سفينة فرنسية كانت تتجول مقابل مسقط بمهاجمة «سفينتين عربيتين بالقرب من هذا الميناء»^(٧٩).

ولم يقتصر التأثير السلبي للصدامات الفرنسية البريطانية البحرية على مهاجمة السفن العربية فقط اذ كان يقود قسم منهم السفن المنهوبة وبضائعها الى الموانئ العربية وهذا ما يثير سلطان الطرف الثاني ضد العرب ويتهمونهم بالتواطؤ مع هذا الطرف أو ذاك. ففي شهر آب من عام ١٨٠٥ استولت السفينة الفرنسية بيل بول (Belle Poule) على السفينة الانجليزية (Endeavour) أنديفور وقادتها الى مسقط^(٨٠) وهذا أثار من جديد سلطات بومباي وذهبت الى حد اعتبار ميناء مسقط قاعدة للسفن الفرنسية تهاجم سفنها (الانجليزية) منها،

وقاعدة لتموينها وسوقا لمنهوباتها^(٨١).

وفي الحقيقة كان الانجليز يطلبون من سلطان مسقط تحقيق ما هو مخالف للقانون وفوق طاقة الحكومة المسقطية فلا توجد اتفاقيات معقدة بين الانجليز والسلطان يتعهد فيها بمنع رسو السفن الفرنسية في موانئه. عادت الصدامات مرة اخرى بشكل كبير بين السفن الفرنسية والانجليزية في منطقة الخليج العربي اثناء حكم سيد سعيد، واقتربت اكثر فأكثر من المياه الاقليمية المسقطية، وفي بعض الاحيان كانت تقع في ميناء مسقط نفسه. ولكن في هذه المرة كان الفرنسيون يشكون الى سلطان مسقط هجمات الانجليز ضد سفنهم في حين أنه في المرات السابقة كان العكس. ففي ٢٦ تموز ١٨٠٦ كانت سفينة الكورسير الفرنسية (Le vigilant) الفيجلانت في ميناء مسقط تتزود بالمياه والمؤن عندما ظهرت الفرقاطة الانجليزية (الكونكورد) (Concorde) وهاجم البحارة الانجليز البحارة الفرنسيين الذين كان قسم منهم في سفن عربية صغيرة بالقرب منها، بعد أن رفضوا طلب أحد موظفي السفينة الانجليزية بتسليم مفاتيح مخازن السلاح في السفينة الفرنسية^(٨٢).

ولم يكتف قبطان السفينة الانجليزية (الكونكورد) بذلك، بل تقدم الى السلطان يطلب منه اعطاء

الامر الى السفينة الفرنسية بمغادرة ميناء مسقط خلال أربع وعشرين ساعة، لان الخدمات التي قدمت لها، تشكل خرقا للاتفاقيات المعقودة بين مسقط وانجلترا، وتضع علامة استفهام على حياد مسقط (كما قال القبطان الانجليزي).^(٨٣)

بعد هذا الانذار أعطى السلطان أمرا مباشرا الى السفينة الفرنسية (الفيجلانت) بمغادرة الميناء وعند خروجها من الميناء أعترضتها السفينة الانجليزية على بعد ٩ أميال^(٨٤) واستولت عليها دون مقاومة لانها لم تتمكن من التزود بالوقود من مسقط.^(٨٥)

ولخشية سيد سعيد (أمام عمان) من رد الفعل الفرنسي ضد السفن العمانية (لان جزيرة فرنسا كانت مركزا لسفن الكورسير القرصنية ويخشى أن تهاجم السفن المسقطية)، أرسل مبعوثا الى حاكم جزيرة فرنسا لتسوية المشكلة وشرح الحادث الذي وقع أثناء غيابه وأثناء الاضطرابات في مدينة مسقط.^(٨٦)

ثم كتب الامام بعد ذلك الى دنكان (رئيس حكومة بومباي) محتجا ضد ما قام به قبطان (الكونكورد) وطلب إعادة الفيجلانت، وقد اعترف دنكان بأن حجة قبطان السفينة الانجليزية القانونية لم تكن مقنعة لكن دنكان عندما كان يقدم شرحا الى رئيس محكمة بومباي الذي يحكم بقضية الفيجلانت ذكر للقاضي بان الحكومة

(حكومة بومباي) ستكون في وضع رسمي حرج في حالة مصادرة السفينة، غير أن هذا القاضي ظل يرفض أن يأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر دنكان وأكد للحاكم أنه يعتبر الفيجلانت غنيمة حرب.^(٨٧)

ولم يكن سلطان مسقط مخطئا لتحولاته، ففي الواقع بعد بضعة أشهر تعرض الاسطول المسقطي لخسائر كبيرة، فالسفينة الفرنسية البيومنتيز (Piemontaise) اعترضت بالقرب من خليج البنغال ثمان سفن ونهبت حمولتها وبضائعها وعندما اعترض المسقطيون على هذا العمل رد قبطان السفينة (الفرنسية) بأن الصداقة بين فرنسا ومسقط قطعت منذ أن رفض السلطان استقبال كافيناك، ومنذ أن عوملت السفينة الفيجلانت معاملة سيئة^(٨٨) وأضاف كذلك بأنه استلم أمرا للانتقام من الاستيلاء على الفيجلانت^(٨٩).

وخشية من ثار الفرنسيين، قرر سيد سعيد ارسال مبعوث الى بومباي يحمل رسالة الى دنكان، وفي هذه الرسالة يشتكى السلطان من موقف البريطانيين منه. واقترح عليهم أما أن يتكفلوا بحماية السفن المسقطية وأما أن يعيدوا سفينة الفيجلانت (الفرنسية)^(٩٠).

يئس سيد سعيد من وصول جواب على رسالته من دنكان فأرسل مبعوثا الى حاكم جزيرة فرنسا، وهو يحمل رسالة اكد فيها مساعيه السابقة لدى

السلطات الانجليزية في الهند لاستعادة السفينة الفرنسية وأمله في استعادتها»^(٩١).

غير أن حاكم جزيرة فرنسا أوقف المبعوث المسقطي وحجز سفينته في ميناء نابليون، ولكنه سمح لقسم من الطاقم بالمغادرة بعد أن أعطاهم رسالة الى السيد سعيد. «احتج فيها ضد المعاملة السيئة التي عانى منها الفرنسيون عند الاستيلاء على الفيجالانت، وضد مقتل قبطان إحدى السفن الفرنسية، وطلب بأن تعاد السفينة الفرنسية المأسورة وطاقمها، ويجرى معاقبة قتلة القبطان شتلان، وارسل ممثلين لديهم صلاحيات كاملة للتفاوض على ما يرضي فرنسا وما لها من حقوق»^(٩٢).

ويبدو أن الرسالة تركت اثرها على السلطان فكتب من جديد الى حكومة بومباي بأعادة السفينة الفرنسية، وتعجب من عدم استلام اي جواب على رسائله السابقة بهذا الخصوص.

ولم يأت الرد من حاكم بومباي الى السلطان حتى نيسان عام ١٨٠٧ ومما جاء فيه «ان حكومة بومباي ترى من الافضل أن تعتمد مسقط موقف الحياد من الصراع الانجليزي الفرنسي، وبالنتيجة ترى بأن من غير المناسب أن يكون لمسقط علاقات صداقة حميمة مع فرنسا»^(٩٣).

استمر سلطان مسقط في سعيه لحل مشكلة السفينة الفرنسية كي لا تتعرض سفنه لقرصنة جديدة، فوصل

مبعوث الى ميناء نابليون في ٢٠ مايس (مايو) ١٨٠٧ مع سفينتين^(٩٤)، واكد المبعوث المسقطي الجواب السابق وهو أن حادث السفينة وقع أثناء وجود الامام خارج الميناء، أما بالنسبة لقاتل القبطان الفرنسي فانه غادر مسقط قبل أن يعرف أحد بجريمته ويوجد الان خارج اطار سلطة امام مسقط»^(٩٥).

وخلال فترة النظام القاري عقدت اتفاقية بحرية مهمة عام ١٨٠٧ بين جزيرة فرنسا وامام مسقط سمحت احدى موادها لسفن السلطان بالانتقال بين مختلف الموانئ الواقعة تحت النفوذ الفرنسي أو الانجليزي بدون التعرض لخطر الاستيلاء عليها من سفن جزيرة فرنسا^(٩٦)، الا أن هذه الاتفاقية لم تصادق عليها الحكومة الفرنسية لتعارضها مع تشريع النظام القاري.

غير ان عمليات القرصنة عادت من جديد ضد السفن المسقطية بالرغم من الاتفاقية السابقة، فعادت معها شكاوي التجار ضد سلطات جزيرة فرنسا، ففي عام ١٨٠٨ كتب امام مسقط رسالة الى الجنرال ديكان حاكم الجزيرة (وهو غير دنكان) يبين له فيها بأن سكان جزيرة فرنسا قاموا بأعمال بالضد من الصداقة (بين البلدين فرنسا ومسقط) فعند ملاقات السفن العمانية في المحيط الهندي وزنجبار، فأنهم يقتربون (الفرنسيين) من السفن المسقطية بحجة أخذ الاخبار منها ولكنهم يستولون عليها وينهبونها

(٩٧)، وعلى الرغم من ارجاع عدد من السفن المسقطية وحمولتها الى المسقطيين بعد تدخل ديكان ظل «الموريشسيون يبحثون عن ألف حجة وعذر لتفادي الانصياع لأوامر الجنرال». (٩٨)

وقد أخبر أمام عمان (حاكم جزيرة فرنسا) بأنه كتب الى كاردن السفير الفرنسي في فارس، طالبا اليه الكتابة الى الحكومة الفرنسية لتمنع الاعمال القرصنية للسفن الفرنسية وتضع حدا لها ونهاية (٩٩) وعندما تم نهب سفن مسقطية من جديد، أرسل السلطان من جديد مبعوثا آخر هو ملا صالح، الى ديكان الذي حاول تهدئته، لكن المبعوث المسقطي طالب باحترام الاتفاقية المعقودة بين الحكومتين من قبل الحكومة الفرنسية (١٠٠).

وفي الحقيقة لم تتوقف عمليات القرصنة ضد السفن العربية رغم كل تلك الجهود ويظهر غضب التجار الوطنيين من خلال رسالة أحد التجار الاغنياء المسقطيين الى نابليون الاول التي جاء فيها «لم يبق أمام العرب أي طريق للخروج من مأزقهم، فهم اعتادوا الاتجار مع الهند، ولكن بسبب ما تعرضوا له من نهب فأنهم

قللوا من تلك العلاقات، ونحن نكتب الى فخامتكم لنحتج على ماسلب منا من قبل سكان جزيرة فرنسا» (١٠١).

وهكذا كانت القرصنة الاوربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ضد القوى العربية البحرية أحد العوامل المهمة التي أثرت على التجارة العربية وطرق اتصالها الخارجي وأضرت بالمصالح الاقتصادية العربية، واستهدفت القضاء على السيادة العربية على مياه العرب الاقليمية في الخليج العربي والحد من عملياتهم التجارية في المحيط الهندي والبحر الاحمر.

ولم يحترم الأوروبيون موقف الحياد الذي اتخذه العرب تجاه الصراع الفرنسي الانجليزي، فتعرضت السفن والموانئ العربية للضرب والنهب وفي الوقت الذي خاضت فيه بعض القوى العربية البحرية كالقواسم مثلا نضالا بحريا شجاعا ضد القرصنة الاوربية (خاصة الانجليزية) التي ترفض الاعتراف بسيادة العرب على مياههم فقد سميت هجماتهم على سفنها (وللعجب) باسم القرصنة .



المراجع

- 1 . Pavie (Th), La marine des Arabes et des Hindous, Revue des deux mondes, Vol 4, Paris, 1843, p.576.
- 2 . Miles S.B., "THE COUNTRIES AND THE TRIBES OF PERSIAN GULF, London, 1966, p.143.
- 3 . Al Hilo S.L'EUROPE ET LES PROBLEMES MARITIMES DU GOLFE ARABE DE 1789-1857
T.1 AIXEN PROVENCES, Thise doctorat d'Etat un public, 1983, p. 57.
- 4 . Expedition Maritime Aux Indes Orientales, Archives, Nationales, Serie M1201. France.
- 5 . Ibid
- 6 . Lettre de Mr.l'Eveque de Babylone a'mr le Ministre de la Marine, Bagdad, 9 Janvier 1760. Archive Nationales, A.F.B. Bagdad, Correspondance consulaire et commercial, p.140.
- 7 . Ibid
- 8.9. Ibid
10. Miles S.B., Op Cit. pp 269-270.
11. Guillain m., DOCUMENTS SUR L'HISTOIRE LA GEOGRAPHIE ET LE COMMERCE DE L'AFRIQUE ORIENTALE, Vol 2, PARIS 1857, p.555
12. Miles S.B. Op. Cit. p. 274.
13. - العابد ، صالح ، الموقف البريطاني من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٦٨
14. Al Hilo S, p. 99
15. Miles S.B. Op. Cit. 277.
16. Guillain M, "Op. Cit, Vol 1, pp. 204-205.
17. Ibid 205.
18. Lettre de Mr. Rousseau a Mr. le Marquis de castries, Ministre de la marine, Arch. Nat. B1AF 197, 1783-1791), Bassorah, p. 348.
19. Lettre de l'Imam de Muscate T1, 1783-1810, p. 33
20. Copie de la lettre de l'Imam de Muscate a Mr. Roussau, 1786 Arch. Nat. Corresp. Consul, B1AF Bagdad, 176, 1776-1786.
21. - صالح ، زكي ، العراق وبريطانيا ١٦٠٠ - ١٩١٤ ، بغداد ١٩٥٧ ص ٥٣
22. Miles (S.B) Op. Cit. p. 278.

23. Au Zoux A LA FRANCE ET MASCATE AUX XVIII ET XIX SIEDES, Revue d'Instuite diplomatique, Vol 23, Paris, 1990, p.526.
24. Ibid
25. Lettre de Mr. Rousseau a Mr. le Ministre de la Marine, Alep, le 26 A Avril 1782, Arch. Nat. B1 AF 176, 1776-1786 Bagdad.
26. Au Zoux A. Op Cit p. 558.
27. Lettre de l'Imam de Mascate a M. Rousseau 1790, Corresp. Consul Muscate T1 1783-1810 p. 72
28. Rousseau a M.le Comte de la, le 28 mai 1790, Arch. Nat, Bagdad, B1AF 177.
29. Lettre de Rousseau au Citogen Descroches, envoye extraordinaire de la Republique Francaise aupres de la Porte Ottomane, AAE, Corresp. Politique, Perse, Vol 8. p. 54.
30. ٣٠ - العقد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة.
31. AuZoux M. Op Cit. Vol 24 p. 234
32. Firouz K.LE SULTANAT D'OMAN ET LA QUESTION DE MASCATE, Paris, 1974 p. 76.
33. Lettre de Rousseau Des Corche, representant de la France aupres des Ottomans, Bagdad 430 Venal mare AN III, AAE., Corresp Consul et commercial, Mascate T1 p. 79
34. Al HiloS Op Cit. Pt 1 p. 120
35. Al Akad S. La rivalite Franco — Britanique dans le Golfe Arabe et les dependance de l'Oman 1792-1862, Thise de doctorat de, Universite de Paris, Paris 1956 p. 13.
36. - العقد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة. ص ٦٢
37. Archives Colonies, Ile de France, Corresp. General 37 C4 Vol 93 An III
38. Rapport au Comite de Salut Public, 18 Germinal, Au III Archives Colonies 14 de France Vol 93
39. Traduction de la copie d'une lettre ecrite paz le cheik Kalfan Government de Mascate 1 au citoyen Rosseau Consul in Bagdad An 71, AAEI Mimoires et documents, Perse, Vol 2, 1740-1839 p. 156
40. Lettre du Citogen Rousseau au Citogen Descroches envoye' extra-ordinaire de la Republique Francaise a' Constantinople AN 11 1AAE, Corresp Consul Bagdad Vol 4 1792-1812, p.25
41. Rapport du 18 germinal, ANIII, AAE Corres Consul Mascate T1 1783-1810, p. 110

42. AuZoux M1 Op cit Vol 24 p. 235
43. Lettre de M. Rousseau a Descroches envoye extraordinaire de la Republique Francaise Pres de la porte Ottoman, bagdad 30 Nov. AN 111, AAE, Corresp. Consul, T1 Mascate p. 79.
44. - العابد ، صالح ، الموقف البريطاني من النشاط الفرنسي في الخليج العربي - ص ٧٣ .
45. Miles SB Op Cit p. 289
46. Al Hilo S. Op Cit. T1 p. 130
47. Al Akad S. les rivalities Op Cit p.28
48. Ibid p. 51
49. Prentout Henri Lile de France Sous Decaen 1803-1810 Paris 1901 p. 332
50. La mer Rouge et le golfe Arabe: Situation des Agents anglais et Francais.par un voyageur 1 Revue des deux mondes, vol. 6 Paris 1844 p.825.
51. - نوري ، برهان محمد . ساحل القراصنة، أفاق عربية العدد ١١ ، بغداد، تموز ١٩٧٨ ، ص ١١٣ .
52. Landen R. OMAN SINCE 1856 New Jersey, 1967 p. 10.
53. - العابد ، صالح ، دور القواسم في الخليج العربي، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٩٦
54. Dubuisson P "Qasimi, Piracy & the General Treaty of Peace 1820"
55. ٥٥ - العقد ، صلاح ، التيارات السياسية ، ص ٩٣
56. Kelley J. BRITAIN AND THE ARAB GULF 1795-1880 Oxford 1968 p. 111
57. Al Hilo S. Op Cit. p. 305
58. Philips CH THE EAST INDIA COMPANY 1784-1834 Manchester 1961 pp 79-155
59. - ابراهيم ، عبدالعزيز غني ، بريطانيا وامارات الساحل العماني ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ١٧٣ - ١٣٨ .
60. Dubuisson P. Op Cit p. 47
61. - النجار ، مصطفى عبدالقادر ، التاريخ السياسي لمقاطعة عربستان ١٨٨٧ - ١٩٢٥ ، القاهرة، ١٩٧٠ ص ٤٥ .
62. Buckingham J.S. TRAVELS IN ASSYRIA, MEDIA & PERSIA London 1829 pp 380-382
63. ٦٣ - ابراهيم ، نفس المصدر ، ص ١٣٧
64. Chevalier J.J. LE'VOLUTION DE L'EMPIRE BRITANNIQUE T2 Paris 1930 p. 999
65. Brydges U.J. AN ACCOUNT OF THE TRANSACTIONS OF HIS MAJESTY TO THE COURT OF PERSIA 1807-1811 Vol 2 London 1834 p. 40

66. Instructions pour le citoyen cavaignae, resident commissaire general des relations commerciales de la Republique Francaise a Mascate 5 Vendemiaire ANXI Arch Nat Section d'outre mer papier de cavaignae, mission a ile de France, micro film No. 1 mit B8
67. Ibid
68. Coupland R. AFRICA AND ITS INVADERS FROM THE EARLIEST TO THE DEATH OF SEYYED SAID IN 1856 Oxford 1938 p. 106
69. ٦٩ - العقاد ، صلاح ، التيارات السياسية ص ٦٦
70. Malleson CGR "les deraieres lettes des Francaise dans l'Inde et sur l'ocean indien" Translait de Englis, Paris, 1932, p. 87
71. Guillain M. Op. Cit. Vol. 1 p. 210
72. Coupland R. Op Cit pp 16-107
73. Maurizi V.S. A HISTORY OF SEYED SAID SULTAN OF MUSCATE TOGETHER WITH AN ACCOUNT OF THE COUNTRIES AND PEOPLE ON THE SHORES OF THE GULF, London, 1811. p. 30.
74. Captain Wood, Commanding HMS Concorde to G.A. Grant, Nov 7 1801 IOR, Bombay Pol & Sec. Proceeding Range 382 Vol 1
75. Buckingham G. Op. Cit p. 409
76. Bulletin des nouvelles d' Alep du per nivose au XIII, AAE Corresp. Publique Perse Vol 8 1758-1805 p. 205
77. Low C.R. HISTORY OF INDIAN NAVY 1613-1863 London 1877 p. 225
78. Ibid
79. Bulletin des nouvelles Op Cit AAE Corresp. Politique Perse Vol 8 p. 203
80. Miles Op Cit p. 307
81. Kelly J.B. Op Cit p. 307
82. AuZoux Op Cit Vol 24 p. 256-257
83. Coupland R. Op Cit p. 116
84. Kelly J.B. Op Cit p. 76
85. AUZOUX A. Op Cit Vol 1 pp 256-257
86. Rapport du ministre de la marine a a amajeste l'empreur et Roi sur les evenements qui out precede la conclusion d'une convention Signee l'imam de Mascate, Paris, Mars 1808, dossier 4 AN, AF 1215
87. Kelly J.B. Op Cit. p. 77

88. Coupland R. Op. Cit p. 110.
- 89- Kelly J.B. Op Cit p. 77
- 90.
91. Sayed Said a 'Decaen 15 Sep 1806 Arch Nat Colonies 14 de France, Corresp. Politique Vol 113
92. Deacen a Sayed Said, 21 Octobre 1806 Arch Nat, Colonies 14 de France, Corresp Politique Vol 113
93. Kelly J.B. Op Cit p. 78.
94. Au Zoux A1 Op Cit Vol. 24 p. 259.
95. Rapport du ministere de la marine Op Cit, Arch. Nat. AFIV 1215.
96. Al Hilo S Op Cit T1 p. 212
97. Lettre du Sultan de Zanzibar et d'Oman au general gardane 1808, Arch. Nat. AFIV 1686.
- 98, 99. Ibid.
100. AuZoux Op Cit Vol. 24 p. 264.
- 101 Traduction d'une lettre e'crite par Said Mohamed Akib, Nego-
ciant de Mascate, a.s.m.

l'empereur et Roi, Mascate, le 27 aout 1810 AAE Corresp. Consul
Mascate T1 1783-1820 p. 317

ABBREVIATIONS:

AAE Archives du minister des Affaire etrangere
Arch Nat. Archives Nationales
Corres Consul Correspondence Consulaire